هذه الرساله

مشتملة على انتقاد ابن الخشاب البغـدادى على
العلامة أبى محمد الحريرى فى مقاماته وانتصار
الشيخ الامام العلامة أبى محمد عبد الله
ابن برى للامام الحريرى
والرد عـلى ابن
الخشاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وصلى الله على نبيه الكريم وآله وسلم﴾

الحمد لله مستحق الحمد ومستوجبه وصلواته على خيرته من خلقه ومنتخبه المخصوص بأشرف كتبه وعلى آله وصحبه وذوى نسبه ما لمع آل بسبسبه وهمع خال بصيبه (وبعد) فهذه حروف وقعت في المقامات التى انشأها أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى ينكرها العالمون بالعربية مما تنطق به مصنفاتهم وتتفق عليه مؤلفاتهم نبه عليها الشيخ (الامام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادى رحمة الله عليه حين قرئت عليه المقامات ولعلها أخذت عنه أكثر من أخذها عن جامعها وقد كان ابن الحريرى عفا الله عنه مكبا عليها صارفا مدة مهله فيها وهو ينقح فيها اللفظة بعد اللفظة ويستشفها فى كل لحظة فهى بنت عمره وبكر دهره ولقد خطف أكثرها من مواضع يدل تهذيبه اياها على فضل بارع ولم يكن رحمه الله مدفوعا عن فطنة ثاقبة وغريزة فى التلفيق مطاوعة مجاوبة ومن العجيب انه قدم بغداد سنة أربع وخمسمائة وأخذ المقامات عنه البغداديون وكان بها اذ ذاك بقية من الموسومين بعلم الادب والطالبين لكلام العرب فلم يتعلقوا عليه فيها عند سماعها منه الا بلفظة واحدة نازعوه فيها وخرجوا معه على السواء لانها وقعت فى كتب اللغة على خلاف فيها وهى (النهار) فرخ الحبارى (والليل) فرخ الكروان هذا هو المشهور ويقع فى بعض كتب اللغة بخلافه كما ترى قال ابن دريد فى الجمهرة (والليل) أيضا فرخ الحبارى وله أشياء فى أثناء مقاماته لو روجع فيها لاقر مع الانصاف بالخطا فسلم ساكتا أو لنازع مباهتا وأنا أسوقها ان شاء الله على التوالى موضعا فموضعا مع تمهيد عذره لقلتها فى جنب صوابه

ومامر من المحاسن فى أثناء كتابه وعلمى بأن الكامل من عدت سقطاته والفاضل من أحصيت هفواته وأنبه مع ذلك على مواضع أخذ منها واستعان وأنحى عليها وغصبها وبالله أستعين وهو حسبى ونعم الوكيل (قال) فى أول كتابه فى الخطبة ونعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر (قال) الامام ابن الخشاب هذا الكلام بعينه فى كتاب البيان والتبيين لابى عثمان عمرو بن بحر بن محبور الكنانى المعروف بالجاحظ ويقال الحدقى وهذا الكتاب أشرف مصنفاته وأغزرها فائدة على كثرتها وتفننها مع كبر حجم وكثرة علم وان كان كتابه فى الحيوان أضخم منه وأكبر حجما ولكن هذا أغزر عند طالب البلاغة علما ولا حرج على ابن الحريرى فانه أغار على بلديه ولم يحل حبوته فى غير نديه اقتداء بقوله

(واحيانا على بكر أخينا ✿ اذا مالم نجد الا أخانا)

بصرى صالت بصريا كما قال عذافر

(بصرية تزوجت بصريا ✿ يطعمها المالح والطريا)

ومن أخرى له فى الخطبة (قال فيها) فيما يقع فى أكثر النسخ وهى التى سارت عنه قبل التثقيف والتنقيح وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فقلت وأنت أصدق القائلين (انه لقول) رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين ظنا منه ان المراد فى هذه الآية بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فبنى على هذا الظن ثم مضت عليه مدة بعد أن أخذت عنه المقامات وانتشرت فعثر على ان ذلك انما هو وصف جبريل عليه السلام وهو المكين عند ذى العرش فكر على النسخة مغيرا اعتقادا منه أنه أخطأ فى الاول وكيف وقد غربت وشرقت وأشأمت وأعرقت فكان تغييره فى النسخة الثانية فقلت وأنت أصدق القائلين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ولعمر الله لقد أخطأ فى الاول والآخر أما الاول ففى ظنه أنه صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فيما ذكر أكثر المفسرين وجاء عنهم من طرق كثيرة حسان الاسانيد فى صفة جبريل عليه السلام ذكره أبو جعفر النحاس فى معانيه وكذلك ذكره غيره (وقال) روى معمر عن قتادة قال

يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم والمعنى على هذا القول انه لقول رسول كريم على مرسله (وأما) الثانى فتغييره لما وقع له أولا حين عثر من بعد على القول الذى ذكرته بعض الكتب فظن أن الاول خطأ لا يجوز فأخذ يتتبع النسخ ويغيرها بناء على جهله بأقوال المفسرين والذى ظنه اولا من انه صفة النبى صلى الله عليه وسلم قد ذهب اليه قوم من أهل التفسير ذكر ذلك النحاس وغيره (فقال) وقيل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فجهل ما عليه الاكثرون فى وضعه الاول وجهل الجواز فى وضعه الثانى واختلاف النسخ ويشهد بصحة ما أوردت والعلة فى اختلافهما ما بينت (قال الامام ابن برى رضى الله عنه) ليس الراجع عن الوجه الضعيف الى الوجه القوى بغالط لانه غير مقطوع على ابن الحريرى انه لم يمر به جواز الوجه الاول من كتب التفسير وانما ترك ذلك لان أكثر أهل التفسير على خلافه فعدل الى ما ليس فيه خلاف عند أحد من الناس (ويقوى) ذلك انه اذا أنكر عليه الوجه الاول فلا بد له أن ينظر فى كتب التفسير هل الامر على ما ذكروا أو على خلافه ولما وقف عليه رأى الاكثر على خلاف ما ذهب اليه فعدل عنه الى ما لا خلاف فيه (قال) ابن الخشاب وقال فيها فيما بعد على انى وان أغمض لى الفطن المتغابى ونضح عنى المحب المحابى لا أكاد أخلص من غمر جاهل أوذى غمر متجاهل يضع منى لهذا الوضع ويندد بأنه من مناهى الشرع ومن نقد الاشياء بعين المعقول وأنعم النظر فى مبانى الاصول نظم هذه المقامات فى سلك الافادات وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات أوأثم رواتها فى وقت من الاوقات ثم تلا ذلك الفصل بعده الى أن أنشد

على اننى راض بأن أحمل الهوى ✿ وأخلص منه لا على ولا ليا

(قال) ابن الخشاب لو أمسك عن هذا الفصل لامسك عنه ولكن غمر الزارى عليه فى وضع المقامات وجهله واشتد عليه بان ما اعتقده من وضع المقامات من مناهى الشرع مصيب من هذه الجهة وابن الحريرى فى الاحتجاج عليه بما ساقه من كلامه فى هذا الفصل غالط أو مغالط اذ كان ما احتج به من الموضوعات

على ألسنة العجماوات والجمادات لا يشبه ما أخذ فيه من ذكر الحارث بن همام وأبي زيد السروجي لان ماذكر من ذلك في الكتاب المعروف بكليلة ودمنة أو حكايات السندباذ موضوعة وضع الامثال لتفيد الحزم والتيقظ وتنبه على مواضع الزلل في الرأي لاخي الغفلة وتعطي التجربة لذي الغرة ولذلك وضعت الامثال (وقد) قيل في حد المثل انه القول الوجيز المرسل ليعمل عليه وقد ضرب الله الامثال في كتبه المنزلة على أنبيائه عليهم السلام بما يخرج عن هذين الضربين ويجل عن التشبيه بهما مافي كليلة ودمنة وماجرى مجراه فانه بمجرد التجربة لا يلتبس فيه صدق بكذب اذ كان في خروجه عن المألوف ومباينته المعروف ظاهر الكل احد لان الاسد لا يخاطب الثعلب على الحقيقة ولا الثمر الشجرة ولا القرد السلحفاة ولا الحمام الشاه اذا أخبر به مخبر لم يلتبس بصدق فعلم المقصود به بديهة والاخبار عن الحارث والسروجي ممكن أن يكون مثله وان لم يكن ذلك فهو كذب لا محالة يلتبس مثله بالصدق اذ غير مستحيل في العرف والعادة أن يوجد في الناس داهية يكنى ابازيد ويكون من سروج ويكون من البلاغة والخلاص والتصرف في أبواب الحيل في المتعارف ماحكى الحارث ابن همام عنه وكذلك وجود الحارث واتفاق اجتماعه مع أبي زيد على ماوصف ابن الحريري فهذا يشبه الصدق ويدخل تحت انكاره فهو كذب لان واضعه لا يدعي صحته والاول لا يشبه الصدق من وجه فامره غير مخيل وقد بان أنه غالط في التمثيل أو مغالط (قال ابن بري رضي الله عنه) لامعنى لانكار ابن الخشاب على ابن الحريري في ذكر أبي زيد السروجي والحارث بن همام فان أبازيد السروجي كان موجودا أخبرني تاج الدين بن حمويه بدمشق قال حدثنا الامام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي البندهي قال سمعت الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد التقوي البزار ببغداد يقول سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري صاحب المقامات يقول أبو زيد السروجي كان شحاذا بليغا ومكريا فصيحا ورد علينا البصرة ووقف يوما في مسجد بني حرام يتكلم ويسأل الناس شيأ وكان بعض الولاة حاضرا والمسجد

غاص بالفضلاء فاعجبهم بفصاحته وحسن صياغة كلامه وملاحته وذكر أسر الروم ابنته كما ذكره في المقامة الحرامية وهي الثامنة والاربعون قال فاجتمع عنده عشية ذلك اليوم جماعة من معارق فضلاء البصرة وعلمائها فحكيت لهم ماشاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مراده وحزاقة اشارته وتسهيل ايراده فحكى كل واحد من جلسائي أنه شهد من هذا السائل في مسجده مثل ماشاهدت وانه سمع منه في معنى آخر فصلا أحسن مما سمعت وكان يغير في كل مسجد زيه وشكله ويظهر في فنون فضله احتياله فتعجبوا من جريانه في ميدانه وافتنانه في احسانه فأنشأت المقامة الحرامية في المقامة الاولى (قوله خاوي الوفاض بادي الانفاض) الوفاض جمع وفضة والوفضة الجعبة قال الشنفرى

لها وفضة فيها ثلاثون سيجفا ✿ اذا واجهتن النحور اقشعرت

(قال ابن برى) الذى في شعره اذا آنست أولى العدى اقشعرت العدى الرجالة والسيجف النعل العريض ✿ قال ابن الخشاب رحمه الله فاستعارها ههنا للمزود لانه يريد عدم الزاد والزاد لا يكون في الجعبة وأساء باستعمال الجمع استعمال الواحد لان الموضع لا يقتضي الجمع وانما يقتضي الافراد والمعنى عليه الاترى انه اذا فسر صار خاوي الجعاب ولا معنى للتكثير ههنا (قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن برى رحمه الله) انكار ابن الخشاب على ابن الحريري في قوله خاوي الوفاض هو بعينه في كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ماروته الثقات عنه وهو انه صلى الله عليه وسلم أمر بصدقة أن تجعل في الاوفاض (قال الفراء) في تفسير الحديث على مارواه المروى عنه الاوفاض هم الذين مع كل واحد منهم وفضة يلقى فيها طعامه وهي مثل الكنانة الصغيرة فهذا نص من الفراء على ان الوفضة تكون التي تجعل فيها الزاد وتكون الكنانة التي تجعل فيها السهام ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أمر أن تجعل الصدقة في ذوي الاوفاض أو أهل الاوفاض ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه على حد قوله سبحانه وسل القرية أى أهل القرية وقد نص ابن السيرافي على أن الوفاض جمع وفضة التي تجعل فيها الزاد وذلك عند شرحه بيت

الكتاب وهو (فبينا نحن نرقبه أتانا ✿ معلق وفضة وزناد راع)

وزناد راع معطوف على وفضة لان موضعها نصب لان الاضافة فى تقدير الانفصال تقديره معلق وفضة (قال ابن السيرافي) الوفضة فى البيت مثل الخريطة تكون للفقراء يجعلون فيها أزوادهم قال وزعموا ان أهل الصفة كانت معهم وفاض وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن نجعل الصدقة فى الأوفاض أراد أهل الصفة انقضى كلام ابن السيرافى (وقد) نص على ان الوفضة هى التى يكون فيها زاد الفقراء وأكد ذلك بمارويه الرواة وهو قوله وقد زعموا ان أهل الصفة كانت معهم وفاض قالواو فى زعموا هى ضمير الرواة كانه قال وزعمت الرواة ان أهل الصفة كانت معهم وفاض وهى التى تقدم تفسيرها من أن واحدها وفضة لما يجعل فيه الفقير زاده فهذا نص آخر زائد على ماذكره الفراء وابن السيرافى (وأما) قوله وأساء فى استعمال الجمع استعمال الواحد لأن الموضع لا يقتضى الجمع وانما يقتضى الافراد والمعنى عليه يعنى ان ابن الحريرى استعمل الوفاض موضع الوفضة فهو تحكم منه أعنى قوله لان الموضع لا يقتضى الجمع الاترى أنه يجوزأن تكون معه وفضة فيها كعك ووفضة فيها سويق ووفضة فيها تمر أو دقيق فمن أين قطع على انه لم يكن معه الا وفضة واحدة وأظنه انما حكم بأن الموضع يقتضى الافراد من جهة أنه قال بعد هذا ولا أجد فى جرابى مضغة وليس فى هذا دليل على انه أراد جرابا واحدا بل يجوز أن يريد به الجمع كما يقول القائل ✿ اذا مدح انسانا ليس فى ازاره فضل ولا فى ثوبه خرق ولا فى انائه صدع ولا فى حاجبه منع فيأتى باللفظ على الافراد ولا يمتنع أن يراد به الجمع الاترى أنه ليس يلزم أن يكون أزارا واحدا ولا ثوبا واحدا ولا اناء واحدا ولا حاجبا واحدا بل هذا اللفظ يطلق على الواحد وعلى الجمع وعلى ذلك قول ابن خياط العكلى

(وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم ✿ إلا نميرا أطاعت أمر غاويها)

ويما روى مرشدهم وليس يريد سيدا واحدا ولا غاويا واحدا وانما يريد كل سيد لهم وكل غاو لهم ومما أوقع فيه الواحد موضع الجمع قوله سبحانه وتعالى فى جنات ونهر يريد وأنهار وقوله سبحانه وعلى سمعهم وعلى أبصارهم أى وعلى

أسماعهم وأنشد سيبويه

بها جيف الحسرى فأما عظامها ✿ فبيض وأما جلدها فصليب

يريد وأما جلودها وأنشد أيضا ✿ في حلقكم عظم وقد اشجينا ✿ أي أراد في حلوقكم وأنشد أيضا

كلوا في بعض بطنكم تعفوا ✿ فان زمانكم زمن خميص

أراد في بعض بطونكم ومن هذا أيضا قول قيس بن الخطيم

أتعرف رسما كالطراد المذهب ✿ لعمرة وحشا غير موقف راكب

ديار التي كادت ونحن على منى ✿ تحل بنا لو لا نجاء الركائب

فاوقع رسما موقع رسوم بدلالة أنه أبدل منه ديارا وهي جمع (وقوله) احاطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر هو بعينه لأبي العلاء المعري في رسالة له موجودة في بعض رسائل حفظها ابن الحريري بعينها قال في آخرها فانصرفت من حيث أتيت وقضيت العجب مما رأيت (قال ابن الخشاب رحمه الله) قال الاصمعي في كتابه فيما تغلط فيه العامة تقول قضيت العجب من كذا والصواب ما كدت أقضي العجب والمعنى على ما قال الاصمعي لانهم يريدون طول التعجب والمبالغة في وصفه بالكثرة فكانه ما كاد ينقضي ولقولهم قضيت العجب وجيه ضعيف وما قاله أبو سعيد هو الوجه (قال ابن بري رحمه الله) انما منع ابن الخشاب أن يذكر الوجيه الذي صغره ووصفه بالضعف مخافة أن يتعصب متعصب لابن الحريري فيقوي ذلك الوجه الضعيف ويصححه والذي يتوجه عليه قول ابن الحريري هو انه يصح أن يقال قضيت العجب على معنى انقضى عجبي لبلوغه النهاية التي لا مزيد عليها كما يقال عند افراط العجب عجبت عجبت حتى ما عجبت أي عجبت حتى فني عجبي لانه بلغ النهاية التي لا مزيد عليها وعلى هذا قول أبي الطيب

(فعجبت حتى ما عجبت من الظبا ✿ ورأيت حتى ما رأيت من السنا)

أي عجبت من الظبا حتى ما عجبت ورأيت من السنا حتى ما رأيت أي حتى انقضى عجبي ورؤيتي لبلوغهما النهاية التي لا مزيد عليها كما انه اذا انتهى السائر في الارض الى الغاية التي لا يمكنه أن يسير بعدها فقد انقضى سيره وانقطع سعيه

(وفيها) لكى يجهل مربعه استعمل ههنا المربع استعمال الربع ✿ قال ابن الخشاب رحمه الله لانه يريد ههنا المنزل وما أصاب فى ذلك لان الربع المنزل حيث كان والمربع منزل القوم فى الربيع خاصة كالمصيف والمشتى وتلك منازلهم فى هذه الازمنة خاصة وذلك ظاهر لمتأمله (قال ابن برى رحمه الله) يقال ربع بالمكان أقام به في الربيع ويقال أيضا ربع بالمكان أقام حيث ما كان واسم المكان منهما مربع قياسا مطردا عند النحويين كالمصنع من صنع والمصرع من صرع والشاهد على قولهم ربع بالمكان اذا أقام به حيث ما كان قول الحاذرة

بكرت سمية عدوة فتمتع ✿ وغدت غدو مفارق لم يربع

فقوله لم يربع أى لم يقم وكذلك فسره المفضل فى المفضليات وقال يقال ربع بالمكان اذا أقام به ولم يشرط ربيعا ولا غيره فعلى هذا يصح أن يكون المربع لمنزل الانسان وبيته وداره ونحو ذلك وعليه قول يزيد بن الصعق

(فرغتم لتمرين السياط وأنتم ✿ يشن عليكم بالقنا كل مربع)

أى كل مكان تقيمون فيه وأما قول أهل اللغة ان المربع اسم للمنزل فى الربيع خاصة فانما يريدون به الاكثر وهو الاصل ثم اتسع فيه فجعل لكل مكان أقام به الرجل ألا ترى انهم لا يكادون يذكرون المربع في اسم الربيع وهو أيضا قياس مطرد مثل اسم المكان وشاهده قول الحطيئة

(أمن رسم دار مربع ومصيف ✿ لعينيك من ماء الشؤن وكيف)

قال أبو على تقديره أمن أى رسم دار مربع ومصيف * فالمربع والمصيف على هذا اسم لزمان الربيع والصيف وكذلك قول جرير

(ردوا الجمال بذى طلوح بعدما ✿ هاج المصيف وقد تولى المربع)

أى ردوا الجمال من موضع رعيها الى الحى حين ارادوا التحمل وقد أتى المصيف وتولى المربع واذا أقبل الصيف وولى زمن الربيع يبس عشب الارض وكذلك المربع يكون أيضا اسما للمصدر نحو قولهم ربعت بالمكان مربعا ولا يكادون يذكرون المربع الا فى اسم المنزل بالربيع وانما يذكر هذا مبينا أهل النحو ويجعلون له بابا مفردا وقياسا مطردا وما خرج عن القياس من بنائه ذكروه

وفيها في الشعر

ولاشرعت بي عـلى مورد ✿ يدنس عرضي نفس حريصه

وهو يحتال ويسأل ويخرج في صور النذالة من مسألة وغـيرها فقاله لايطابق النزاهة التي ادعاها في البيت وذلك أيضا ظاهر (قال ابن برى رحمه الله) الذى قاله ابن الحريرى صحيح وليس المعـنى فيه ماظنه ابن الخشاب وانما أراد ان الدهر ألجأه الى السؤال والاحتيال ولم يكن من أهـل ذلك فيما تقدم الآن اه يقول قبل البيت

والجأني الدهر حـتى ولجت ✿ بلطف احتيالى على الليث عيصه

على انني لم أهب صرفـه ✿ ولا نبضت لى منـه فريصـه

ولا شرعت بى على مورد البيت أى لم يكن ممن يهاب صرف الدهر فيما مضى من عمره ولا ممن شرعته به نفسه على مورد يدنس عرضه فأثبت لنفسه النزاهة قبل ان ألجأه الدهر الى السؤال والتقدير لم أكن ممن هاب صرف الدهر ولا ممن نبضت فريصته ولا ممن شرعت به نفسه على مورد اهانة واذا ثبت له المعنى على هذا بطل ماذهب اليـه ابن الخشاب من كونه جمع بين النزاهة والاحتيال في صورة النذالة من مسئلة وغيرها ﴿المقامة الثانية فيها﴾ ألفيت بها أبا زيد السروجي يتقلب في قواليب الانتساب ويخبط في اساليب الاكتساب (قال ابن الخشاب) القواليب خطأ لاتستعمل مثله العرب في حال الاختيار والسعة فان اضطر الى مثله الشاعر كان قليلا في ضرورة الشعر وذلك ان الواحد قالب لا قالاب ولا قالوب (قال ابن دريد) القالب الذى يصب فيه الشيء من صفر اوغيره فيجيء مثله ويقال هذا قالب كذا وفي العين المنسوب الى الخليل القالب دخيل ومنهم من يقول قالب (قال ابن الخشاب) كلا المثالين من فاعل وفاعل انما يكسر على فواعل بغير ياء تقول في تابل توابل ولا تقـل توابيل وفي خاتم وخاتم خواتم ولا تقل خواتيم الا في خاتام فانها لغة فيه وكذلك الطابع والطابع طوابع لاغير ذلك وكذلك الطابق والطابق طوابق وقول العامة طوابيق والطوابيق خطأ فاحش فالوجه حينئذ قوالب وقد يمطلون الكسرة في مثل هذا في ضرورة الشعر فينشأ عنها ياء فيقولون في صيارف

صياريف وفى دراهم دراهيم وأنشد سيبويه في كتابه فى باب ما يحتمل الشعر وربما امد فقالوا مساجيد ومنابير شبهوه بما جمع على غير واحده فى الكلام كما قال الفرزدق

تنفي يداها الحصى فى كل هاجرة ✿ نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

وعليه قول المتنبي

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ✿ مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا خلاف بينهم ان استعمال مثل هذا فى الكلام المنثور لا يجوز وانما يجوز فى ضرورة الشعر قليلا وعكسه انهم يحذفون فى الشعر هذه الياء من الجمع الذى يستحقها ضرورة فيقولون فى طواويس طواوس وفى عواوير عواور قال ✿ وكحل العينين بالعواور ✿ ولا يطرد مجيء هذه الياء فى الجمع الا فيما رابع واحده حرف علة كفاعال بنحو ساباط تقول سوابيط وفاعول نحو كانون تقول كوانين وعاثور تقول عواثير وأفعول تقول فيه أفاعيل كقولك أسلوب وأساليب وأركوب وأراكيب والله أعلم (قال ابن برى) اعلم ان للسجع ضرورة الشعر وان له وزنا يضاهى ضرورة الوزن فى الشعر في الزيادة والنقصان والابدال وغير ذلك ألا تراهم حركوا الساكن فيه كما يحركونه فى الشعر كقولهم في صفة ليالى القمر ثلاث دُرَعٌ وكان قياسه دَرْعٌ بسكون الراء وانما حركوها اتباعا لقولهم ثلاث غرر وثلاث ظلم وحذفوا التنوين فيه كما حذفوه في الشعر فقالوا شهر ثرى وشهر ترى وشهر مرعى فحذفوا التنوين من ثرى ومن مرعى اتباعا لقولهم ترى لكونه فعلا وكذلك أبدلوا الهمزة ألفا فى نحو قولهم أنكحنا الفرا فسترى فابدلوا همزة الفرا ألفا اتباعا لقولهم سترى وابدلوا الحرف المضاعف ياء فى نحو قولهم له الضيح والريح فقلبوا الحاء ياء في الضيح اتباعا للريح وكان أصله الضح حكى ذلك الخليل وأبو حنيفة الدينورى وروى فى الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال للنساء ارجعن مأزورات غير مأجورات فابدل الواو فى موزورات ألفا اتباعا لماجورات وقد جاء مثل هذا في فواصل القرآن لتتفق الفواصل فمن الزيادة قوله تعالى فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا فزادوا ألفا كما زادوها فى الشعر على جهة الاطلاق

ومن النقص قوله تعالى والليل اذا يسر حذفت الياء من يسر اتباعا للوتر وما تقدمه وكذلك حذفت الياء من قوله تعالى ربى أكرمن وربى اهانن كما تحذف فى الشعر كقول الشاعر

فهل يمنعن ارتياد البلاد ✿ من حذر الموت أن يأتين

فاذا ثبت هذا فلا وجه للانكار على ابن الحريرى ✿(في المقامة الرابعة)✿ نرقبه رقبة أهلة الاعياد ونستطلعه بعيون الطلائع والرواد (قوله) نستطلعه بعيون الطلائع والرواد كلام مغسول لولا تجنيسه وقوله ولاحت الشمس فى الاطمار استعارة بعيدة (قال ابن برى رحمه الله) لاشئ أحسن من استعارة الاطمار للشمس عند غروبها لان الشفق قد صار عليها كاللباس وهى تضئ فيه فكانها قد لبست اطمارا وهى الثياب الخلقان وقوله قلت لاصحابى قد تناهينا فى المهلة وتمادينا فى الرحلة الى أن أضعنا الزمان (قال ابن الخشاب) تمادينا فى الرحلة ضد مراده لانه يريد انهم تمادت بهم المقام والرحلة لو تمادت لكانوا فى سفر متصل الا أن يتأول على انه اراد تمادينا فى ترك الرحلة ويبين لك ان المعنى كما ذكرت وانه أخطأ فى هذا الاستعمال الا أن يتعسف له فى التأويل انك اذا قلت تمادى فلان فى غيه وضلاله انما تريد دام غيه وضلاله لانه كان في غير الغى والضلال وكذلك اذا قلت تمادى فى رحلته دامت رحلته لانه كان فى غير رحلة وهى الاقامة فطال زمن اقامته وهو الذى قصده ابن الحريرى فعبر بما يؤدى الى ضد مراده وهذا بين الغلط بما كشفته وقد قرأت على هبة الله بن عبد الواحد بن الحسين الشيبانى قال الامام تاج الدين المسعودى وأخبرنى ابن الحصين اجازة قال أخبرنا الامير ابو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قال حدثنا أبو العباس أحمد بن منصور اليشكرى أخبرنا الصولى قال حدثنا الحارث بن أبى أسامة قال حدثنا على بن محمد بن سيف قال لما اشتد بلاء عبد الرحمن بن أم الحكم على أهل الكوفة قال عبد الله بن همام السلولى شعرا وكتبه فى رقاع وطرحها فى مسجد الكوفة

ألا أبلغ معاوية بن صخر ✿ فقد خرب السواد فلا سوادا

أرى العمال قد جاروا علينا ✿ بعاجل نفعهم ظلموا العبادا

فهل لك ان تدارك مالدينا ✿ وتدفع عن رعيتك الفسادا
وتعزل تابعا ابدا هواه ✿ يخرب من بلادته البلادا
اذاماقلت أقصرعن مداه ✿ تمادى فى ضلالته وزادا

فبلغ الشعر معاوية فعزله (قال ابن برى) مثل هذا جائز فى اتساع كلام العرب على حذف مضاف تقديره تمادينا فى انتظار الرحلة كما قال جرير

لما تذكرت بالديرين ارقنى ✿ صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

قال أبو على تقديره ارقنى انتظار صوت الديكة لانه كان من معاد الخروج وقت صياح الديكة فأرقه انتظار صوتها لا صوتها وهذا النحو كثير فى القرآن وفى الشعر وقيل فى قوله سبحانه وتعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول ان تقديره فقبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول فحذفت هذه المضافات اتساعا لفهم المعنى ﴿فى المقامة الخامسة﴾ شر الاضياف من سام التكليف وآذى المضيف قوله سام التكليف انما هو سائم التكليف كقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب (قال ابن برى) كلام ابن الحريرى صحيح لانه يقال سمته حاجة اذا كلفته اياها وجشمته مشقتها فيكون المعنى شر الاضياف من جشم المضيف التكليف بما يشق عليه وأراد العموم لكل ضيف كلف المضيف مشقة فدخل هو فى الجملة وان كان حاضرا موجودا (وقال فيها) قبيل انتيابكم ومصيرى الى بابكم (قال ابن الخشاب) ليس هذا موضع استعمال الانتياب لان الانتياب معاودة الشئ مرة بعد مرة ومنه سميت النحل نوبا لانتيابها مواضع تعسلها وهو مباتها والانتياب افتعال من النوبة بعد النوبة وهو لم يأتهم فى هذا الموضع مرة بعد أخرى ولا كثر انتيابه فلا معنى له فى استعمال الانتياب الا انه ساقه الى استعماله السجعة فلا عذر له فى ذلك نعم ويستعمل الانتياب في الجماعة بمعنى انه يجئ منهم طائفة وتذهب أخرى فيقال دهم فلانا أمر انتابه الناس لاجله أى جاءه منهم قوم بعد قوم ويؤكد احالة الاستعمال الذى قصده نفس وضعه فيما بعد لانهم لما استقروا أبا زيد عن طرقه مرآه قال ان مرامى الغربة لفظتنى الى هذه التربة فهذا ما رآه الا فى هذه المرة فاى معنى للانتياب حينئذ وذا ظاهر الفساد لمباعدته (وقال فيها) نضو سرى خابط ليل أليل وهذا يكاد يناقض

قوله في أول المقامة في وصف هذه الليلة أن أديمها ذو لونين لان الليل الاليل والليلة الليلاء لا تكون ذات ضوء البتة قال الشنفرى

فأيمت نسوانا وايتمت ولدة ✿ وعدت كما أبدأت والليل أليل

وكذلك قوله ✿ وقد دجى جنح الظلام المسبل ✿ هذه الليلة التى وصفها كان جنحها أبيض بقمرها وقد انقضى بقوله روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم ولعله يريد جنح ليلة أخرى هذا هو الوضع البارد الفاسد (قال ابن برى) الذى ذكره ابن الحريرى صحيح لانه لم يصف الليلة بأنها قراء بكون القمر فيها من أولها إلى آخرها وانما ذكر ان القمر فى أولها ألا تراه يقول فيها قرها كتعويذ من لجين وهو ما يجعل فى قلادة الصبى ونحوه فهذا يقضى بأن القمر كان ابن أربع أو خمس واذا كان كذلك كان غروبه سريعا واذا غاب القمر أقبل الليل بظلمته ألا تراه يقول فلما روق الليل البهيم أى مد رواق ظلمته ولم يبق الا التهويم فاطلق على ما بقى من الليل اسم الليل وعلى هذا قول العرب جاءنا فلان بليل اذا جاء بعد ما مضت منه طائفة صالحة وعليه فسر أبو على قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى على نحو قولهم جاءنا بليل أى بعد ما مضى منه طائفة ولا يصح المعنى عنده الا على هذا لانه قد علم ان الاسراء لا يكون الا ليلا ولا يكون نهارا فان خصصت الوقت من الليل جاز فقلت سرى من أول الليل ومن وسط الليل ومن آخر الليل ومما يقوى ان ما بقى من الليل يقع عليه اسم الليل قول الشنفرى يصف أنه سرى فى ليلة واحدة لطلب الفتك فقتل وغنم وعاد فى ليلته وهو

فأيمت نسوانا وأيتمت ولدة ✿ وعدت كما أبدأت والليل أليل

ألا تراه يقول قبل البيت

وليلة برد يصطلى القوس ربها ✿ وأقطعه اللاتى بها يتنبل

فاوقع اسم الليل على ما بقى منه وهو قوله والليل الاليل أى شديد الظلمة فهذا مثل قول الحريرى خابط ليل أليل في ايقاعه اسم الليل على بعضه ومثله قول عمر بن أبى ربيعة يصف أنه اجتمع بمحبوبته بعد أن غاب القمر وهو

وغاب قمر كنت أهوى غيوبه ✿ وروح رعيان وهوم سمر

وانما قال قمير مصغرا لكونه صغيرا لم يكبر بعد ثم قال عند اجتماعه بها بعد غيوب القمر

فيالك من ليل تقاصر طوله ✿ وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

فأوقع اسم الليل على ما بقى منه وذلك ان الليل الذى تقاصر طوله هو ليل الوصل لا ليل الصد ولو كان ليل الصد لكان طويلا (قال فيها) فشكر عند ذلك الصنع واستنفد فى الثناء الوسع (قال ابن الخشاب) أكثر ما يستعمل فى مثل هذا الموضع الصنيع والصنيعة فأما الصنع فيستعمل استعمال الصناعة (قال ابن برى) الذى ذكره ابن الحريرى هو الصحيح قال الجوهرى الصنع مصدر قولك صنع اليه معروفا ثم قال بعد هذا والصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة وهذا خلاف ما قاله ابن الخشاب (قال ابن الخشاب وفيها) فقضيناها ليلة غابت شوائبها الى أن شابت ذوائبها وكذلك قوله فى موضع آخر الى أن شاب مفرق الدجا يعنى به أوائل الصباح استعمال القوم فى هذا أن يستعيروا لاواخر الليل الاعجاز وما جرى مجراها من المآخير قال امرؤ القيس ✿ وأردف اعجازا وناء بكلكل ✿ وأوائل الليل هواديه والذوائب هى الرؤس فهى ينبغى ان تكون أوائل الليل وقد قال بعض المتأخرين وهو أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى

ليلتى هذه عروس من الزنـ ✿ ـج عليها قلائد من جمان

وذوائبها على هذا لا تكون فى مآخيرها الا أن يجعل مدة الليل كالعمر له والشيب انما يكون فى أواخر العمر فعلى هذا تقرب استعارته وأما استعارة العرب فكما أريتك وعلى ان المتأخر قد قال وهو أبو العلاء والبيت من القصيدة

ثم شاب الدجا فخاف من الهجـ ✿ ـر فغطى المشيب بالزعفران

وهذا يريد به أواخر الليل وقد وصفوا اختلاط أواخر الليل باوائل الصبح بالشمط فقالوا كان شميط الصبح والشمط فى الاصل هو الخلط فهذا يلمح استعارته ويقربها (قال ابن برى) استعارة ابن الحريرى لاواخر الليل عند طلوع الفجر المشيب من أحسن الاستعارات ومن أنكر ذلك فقد أنكر غير منكر وعلى ان ابن الخشاب قد رجع فى آخر كلامه الى تجويز ما انكره أولا ✿ فى المقامة

السادسة: انه مخرنبق لينباع ومجرمز سيعد الباع ونابض يبرى النبال ورابض يبغي النضال (قال ابن الخشاب) قوله نابض يبرى النبال ورابض يبغي النضال لامعنى له لان النابض من قولهم نبض اذا تحرك ويقال أنبض الوتر اذا مده ثم ارسله فسمع له صوت قال (انبضوا معجس القسى) وتمام البيت والبيت للشماخ (وابرقنا كما توعد الفحول الفحولا) وكذلك يقال انبض عن قوسه اذا مد وترها ثم أرسله قال

اذا أنبض الرامون عنها ترنمت ☆ ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

والبيت للشماخ وبرى النبال انما يكون قبل هذه الحال بل مل ء الكنائن من النبل وهذه حالة بعد البرى تكون قبل المراماة ومن أمثالهم قبل الرماء تملأ الكنائن وكذلك قوله ورابض يبغي النضال النضال المراماة ولكن القرينة الثانية أقرب من الاولى وانما يدعى في ضعف المعاني من تحكيم القرائن ولا عذر له في ذلك (قال فيها) ومتى اخترع خرع وان بده شده (قال ابن الخشاب) شده من الافعال التي جاءت في كلامهم مقصورة على بناء الفعل الذي لم يسم فاعله كقوله شدهت وانا مشدوه أي شغلت وهو يقارب دهش ولا يكادون يقولون شدهني كذا ولا شدهت زيدا في كلام فصيح وقد بينوا ذلك في المختصرات من كتب اللغة فضلا عن غيرها (قال ابن برى) انما قطع ابن الخشاب على ابن الحريري بالغلط في قوله شده ثقة بقول ثعلب في الفصيح وقد شدهت وأنا مشدوه الا تراه يقول وقد بينوا ذلك في كتب المختصرات يعني كتاب الفصيح ولم يعلم بأن ابن درستويه أنكر ماقاله ثعلب وغيره من أهل اللغة وهذه حكاية لفظه قال ابن درستويه عامة أهل اللغة يزعمون ان هذا الباب لا يكون الا مضموم الاول ولم يقولوا انه اذا سمى فاعله جاز بغير ضم وهذا غلط منهم لان الافعال كلها مفتوحة الاوائل في الماضي فاذا لم يسم فاعلها فهي كلها مضمومة الاوائل ولم يخص بذلك بعضها دون بعض وقد بينا ذلك بعلته وقياسه وذكر أنه يجوز عنيت بأمرك وعناني أمرك وشغلت بأمرك وشغلني أمرك وشدهت بأمرك وشدهني أمرك فهذا الذى ذكره ابن درستويه تصحيح لقول ابن الحريري وابطال لقول غيره وفي ذلك كفاية

تغني عن زيادة ايضاح وبيان (وفيها) فقال ياهذا ان البغاث بأرضنا لا يستنسر بناء على المثل وهو قولهم ✲ ان البغاث بأرضنا يستنسر ✲ والبغاث ما لا يصيد من الطير من قولهم استنسر البغاث أي صار في حال النسر كما قالوا استنوق الجمل واستتيست الشاة واستحجر الطين واستفيل الجمل أي صار كالفيل والمراد بالمثل في أصل كلامهم ان الذليل يكتسب العز بأرضنا فيصير الى حالة العزيز فاستعماله بغير لا وان كان يؤدي مقصود الواضع فانه في الضمير يدل على ان المتكلم قد يعبر عن بلاده بأنها ليست بدار عز فذم نفسه وقومه (قال ابن برى) اعلم أن واضع المثل استعمله في مدح أرضه التي فيها اقامته في كون الضعيف يصير فيها قويا وكذلك استعمله ابن الحريري أيضا في مدح أرضه في انه لا يكون بها الصغير في الفضيلة كبيرا فاهذا أدخل لا النافية في المثل ليبقى المثل على أصله في مدح الارض وأيضا فانه يجوز رد المثل الموجب منفيا عند المفاخرة فيقول القائل البغاث بأرضنا يستنسر والبغاث بارضكم لا يستنسر فلا بد عند المفاخرة من نقل المثل الموجب الى النفي (وفيها) واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وناب استعماله قاطبة مضافة الى ما بعدها وتعريفها به وادخال حرف الجر عليها يدل على جهله بعلم النحو وانه كان مقصرا جدا لان العلماء بالعربية لا يختلفون في أن قاطبة لا تستعمل الا منصوبة على الحال غير مقتصر على موضع واحد كذا نطقت بها العرب ولا تستعملها فاعلة ولا مفعولة ولا مجرورة ولا مضافة ولا معرفة بالالام ومثلها طرا وكافة فلا يقال طر القوم ولا كافة القوم قال تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس هو في أحد التقديرين الى الناس كافة ثم قدم وقولهم كافة الخلق كلام مولد ليس بعربي محض وهو أسهل من استعمال ابن الحريري قاطبة الكتاب قال سيبويه في الكتاب في باب ترجمته هذا باب ما يجعل من الاسماء مصدرا كالمصدر الذي فيه الالف واللام فذكر فيه الجماء الغفير ثم قال وهذا جعل كقولهم مررت بهم قاطبة ومررت بهم طرا الا ان هذا نكرة ولا تدخله الالف واللام ثم قال في الباب فصار طرا وقاطبة بمنزلة سبحان في بابه لانه لا ينصرف كما ان طرا وقاطبة لا ينصرفان وهما في موضع المصدر ولا

يكونان معرفة وأظن ابن الحريري قد لحن في استعمال قاطبة واخواتها كما استعملها هو وحكى مذهب العرب والنحاة في مجموعه الموسوم بدرة الغواص في لحن الخواص الا انه خالف الى مانهى عنه سهوا أولانه عرفه بعد وضعه المقامات على الخطأ وشبيه بحاله هذه ماتم في كتب العلماء باللغة من النهي عن استعمال ماتم يستعملونه في خطب كتبهم لغلبة العادة هذا ابن قتيبة ينهى في أدب الكاتب عن قولهم عبرته بكذا والصواب عبرته كذا بلا باء وقال في خطبة الكتاب وكانت قريش تعير بأكل السخينة وكذا ابن دريد نهى عن هذا الاستعمال في كلامه (وفيها) شيعته قاضيا حق الرعاية ولا حياله على رفض الولاية (قال ابن الخشاب) قوله حق الرعاية ردىء في الاستعمال اذلا يقول من له ذوق في صحة الاستعمال يافلان قد قضيت حق رعايتك وان كان ليس بالخطأ ولكنه كما ترى (قال ابن برى) لا معنى لانكاره حق الرعاية لان حقا يضاف الى المصدر كقولك رعاه حق الرعاية وساسه حق السياسة وآله حق الايالة والايالة السياسة ﴿في المقامة السابعة﴾ كرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما أظل بفرضه ونفله واجلب بخيله ورجله استعمل في السابعة اسكان الفعل المضارع المعتل بعد ان الناصبة وهو قوله فاردت أن أناجيه وأفاجيه لا تجم عود فراستي فيه وهي لغة لا يثبتها أماثل النحويين ويلحنون مستعملها في غير الشعر * وكذا قوله في المقامة العاشرة والغلام في ضمن تأبيه يخلب قلب الوالي بتلويه ويطمعه في أن يليه (وقوله فيها) الى م تشبر لاتقفيه ولا أنف لك فيه (قال ابن برى) استعمل ابن الحريري اسكان الياء في موضع النصب لان ضرورة السجع في النثر كضرورة الوزن في الشعر ولما وجب اسكان الياء لاقامة الوزن كذلك وجب اسكانها لاقامة وزن السجعة فهذا مما يسامح فيه ابن الحريري وله فيه شبهة مقبولة ألا ترى ان الفواصل في القرآن قد نزلت منزلة القوافي وذلك في قراءة من قرأ والليل اذا يسر بحذف الياء عند الوقف لتتفق أواخر الفواصل عند الوقوف على الراء فيقرأ والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر (وقوله فيها) فنفثت الحسين لفظة عامية الا انه استعملها عمدا تظارفا ﴿وقال فيها﴾ حتى اذا لالا الافق ذنب

السرحان ويقع في بعض النسخ المأخوذة عنه دفع الافق ونصب ذنب السرحان وفي بعضها عكسه وكلاهما خطأ لان لألأ لم يرد في كلامهم متعديا انما يقال تلألأ الشيء اذا لمع وفي المثل مالألأت الفور بأذنابها والاشبه على الخطأ في الاستعمال لألأ الافق ذنب السرحان لان ذنب السرحان الفجر الاول وهو الذي يضيء الافق لا الافق يضيئه قال أبو العلاء

وبلاد وردتها ذنب السرحا ✡ ن بين المهاة والسرحان

(قال ابن برى) الرواية المشهورة عنه بنصب الافق وجعله ظرفا متسعا فيه على حد قول ساعدة بن جؤية

قد أوبيت كل ماء فهي ضاوية ✡ مهما تصب أفقا من بارق تشم

قالوا تقديره مهما تصب الحمر في أفق بارقا تشم ونصب أفقا على الظرف وجعل من بارق مفعولا لتصب على زيادة من فيكون التقدير حتى اذا لألأ في الافق ذنب السرحان ومثله لساعدة أيضا

لدن بهز الكف يعسل متنه ✡ فيه كما عسل الطريق الثعلب

أي كما عسل في الطريق فاتسع فيه ونصب على الظرف وذنب السرحان في بيت أبي العلاء منصوب على الظرف أي وقت ذنب السرحان وهو الفجر الاول والسرحان الثاني الذئب ✱ ﴿ في المقامة الخامسة عشرة ﴾ حتى كدت أغلظ له في الكلام وألسعه بحمة الملام استعمل الحمة استعمال الابرة كما تستعملها العامة وقد رد ذلك اللغويون وعدوه من غلط العامة وقالوا الابرة العقرب والزنبور ما يلسعان بهما وأما الحمة فهي سمهما وضررهما قال ابن سيرين يكره الترياق اذا كانت فيه الحمة وربما قال بعضهم في الحمة هي فوعة السم وهو بمعنى القول الاول يريد شدة لدغه وحرارته واشتقوها من قولهم اشتد حمء الشمس وحميها فيجوز أن يكون المحذوف منها واوا ويجوز أن يكون ياء وكونه واوا أولى حملا على أكثر المحذوفات (قال ابن برى) لم يصنع ابن الخشاب في هذا شيأ لان ابن قتيبة انما أنكر قول من يسمي ابرة العقرب والزنبور حمة وقال انما الحمة سمهما وضررهما وانما خص العقرب والزنبور دون الحية من قبل أن الحية لا ابرة لها ولم يذكر لسعة الحية

بحمتها والحمة هنا قوعة السم وحدته وكان ابن الخشاب ظن ان اللسع لا يكون الا للعقرب فلهذا حمل الحمة على انها الابرة ولو بنى على ان اللسع يكون للحية لم يحمل كلام ابن الحريرى على الغلط لان الحية لا ابرة لها ﴿في المقامة السادسة عشرة﴾ وأحدقوا به الاحداق والمحفوظ حدق به القوم وأحدقوا بمعنى المجرد من الزيادة وليست الهمزة فى أحدقوا للتعدية والنقل وقد استعملها ابن الحريرى فيه للتعدية وذلك غير معروف ﴿في المقامة السابعة عشرة﴾ ولا فاه لاحدهم لسان وانما يقال فهت بكذا وما فهت به ولا يقال فاه به لسانى وانما استعمله استعمال نطق به لسانى وبينهما فى الاستعمال فرق (قال ابن برى) ذكر ابن القطاع فاه بالقول فوها نطق به واللسان يستعمل فيه النطق يقال نطق به لسانى ونطق به لسان الحال ﴿في المقامة الحادية والعشرين﴾ فلما حللت بالرى وقد حللت حبى الغى وعرفت الحى من اللى (قال ابن الخشاب) نص أهل اللغة على ان قولهم فلان لا يعرف الحى من اللىّ وماجرى مجراه من قولهم فلان لا يعرف هرًّا من برّ من الالفاظ التى لا تستعمل الا فى الجحد ولا يجوز أن تستعمل فى الايجاب فلو قال هو يعرف الهر من البر لم يجز وكذلك عرفت الحى من اللى وهو مشهور فى كتب اللغويين ذكره ابن السكيت فى كتابه الالفاظ والاصلاح وذكره أبو عبيد فى الامثال وغيره ونظير هذا الباب باب أحد وعريب ودبى وطؤوى ووابس ووابر وديار وتؤمرى وتدمرى وما جرى مجراها لا يستعمل الا فى النفى واخراجها على الايجاب خطأ وترك لاستعمالهم ومعنى الحى من اللى لا يعرف الحق من الباطل (قال ابن برى) كلام ابن الحريرى صحيح لانه أراد معرفة التفسير لهاتين اللفظتين وهما الحى واللى والحى الكلام الظاهر واللى الكلام الخفى أى عرفت بين الكلام من خفيه من قولهم ما يعرف الحى من اللى وكذلك لو قيل فلان يعرف الهر من البر بمعنى يعرف تفسيرهما كان جائزا ألا ترى انه اذا قال قائل والله ما يعرف فلان الحى من اللى ولا الهر من البر ولا القبيل من الدبير فاردت تكذيبه قلت والله ليعرف الحى من اللى ويعرف الهر من البر ويعرف القبيل من الدبير أى يعرف معانى هذه الالفاظ المستعملة فى النفى (وفى آخرها) ولا درى أى الجراد عاره (قال ابن

الخشاب) العرب لا تستعمل مثل هذا المثل الا في المستقبل تقول ما أدري أي الجراد يعاره ولا يستعمل الماضي فيه كما يقولون ما أطت الابل وما وسقت عيني الماء (قال ابن بري) قول ابن الحريري صحيح حكى أهل اللغة انه يقال ما أدري أي الجراد أي عاره أخذه فاستعمله ماضيا وهذا هو المعروف واما يعاره فغير معروف في هذا المثل عند أحد من أهل اللغة بل الامر بالعكس من ذلك عندهم لانه لا يستعمل هذا المثل الا في الماضي دون المضارع ولهذا قال الازهري أن مستقبل عاره في هذا المثل قد أميت فلا يستعمل وقوله ان المضارع منه يعاره غلط فاحش وانما هو مضارع عاره يعوره ويعيره أيضا اذا أخذه وأما يعاره فانما هو مضارع عار الظليم يعار اذا صوت (وفيها) ثم انشد انشاد وجل بصوت زجل (قال ابن الخشاب) وهذا الاستعمال رديء لان الوجل بعيد من أن يصحبه صوت زجل (قال ابن بري) لا انكار على من وقف موقف وعظ وانذار مخوفا من عذاب الجبار أن يرفع صوته بانذاره مع شدة خوفه ووجله كما يشاهد ذلك في مجالس الوعاظ وكما يشاهد من ركاب السفينة اذا أشرفت على الغرق والعطب ولا شيء أخوف منهم ولا أوجل لخوفهم على أنفسهم من الغرق فهم يضجون ويجأرون الى الله تعالى بالدعاء والجؤار رفع الصوت في الدعاء وغيره ومنه الحديث انظر الى موسى وله جؤار الى ربه بالتلبية أي انظر اليه رافعا صوته بالتلبية فثبت بهذا انه ليس الخوف والوجل مما يباين رفع الصوت وانما يباينه سقوط القوة أو مرض في آلة الصوت ألا ترى ان المرأة الحامل اذا أصابها الطلق يضرب بها المثل في ارتفاع صرختها وان كانت خائفة وجلة على نفسها وولدها وذلك في نحو قولهم

✿ كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها ✿ والقبيل هنا القابلة واذا أسلمت الحامل قابلتها كان أشد لخوفها ووجلها فاذا تطاول بها الطلق وسقطت قوتها قل ارتفاع صوتها ✿ قال ابن الخشاب (وفيها) بمخلبه الاشغى يقول ونابه والشغى لا يكاد يستعمل في المخلب والاستعمال الصحيح في الشغى وهو اختلاف النبتة انما يكون في الاسنان واستعماله في منسر العقاب لطول الاعلى على الاسفل فهما محتملان الا ان هذا الاستعمال أسهل من قوله على النفيصة والشغى لانه توهم ان الشغاة زيادة

فاستعمله استعمالها واللغة أوضاع مخصوصة فى الاستعمال اذا أخرجت عنها لم تكن عربية (وقال فيها) حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول استعارته العول ههنا غير مستحسن اذا حقق معنى العول لانه زيادة على الاصلى كمسئلة أصلها من ستة عالت الى سبعة أو ثمانية أو تسعة وذلك مشهور عند الفرضيين الا أنه يريد به الخروج عن الاصل والزيادة فى الوقت وهو لعمر الله بارد فى التأويل (قال ابن برى) انكاره العول فى الفريضة لا معنى له لانه ذهب الى أن العول الزيادة على الاصل وهو فى هذا الموضع زيادة على الاصل لان صلاة الجمعة ركعتان فاذا فات وقتها صارت أربعا لان صلاة الظهر أربع فقد عالت الفريضة من ركعتين الى أربع فقد صار العول زيادة على الاصل وهذا أصله فى الفرائض وهو من أحسن الاستعارات وقول ابن الخشاب ان ابن الحريرى يريد الخروج عن الاصل والزيادة فى الوقت غلط منه لانه لم يرد بالعول الا زيادة الفريضة ركعتين على الركعتين اللتين هما فرض الجمعة ولم يرد بالعول زيادة الوقت وانما زيادة الوقت هى التى عالت الفريضة وقول ابن الخشاب فى آخر كلامه فى هذا الفصل وهو لعمر الله بارد فى التأويل ✿ قال ابن برى البارد فى تأويل العول هنا قول من جعله الزيادة فى الوقت وظن ان ابن الحريرى أراده وذلك بئس الظن ✿ قال ابن الخشاب (وفيها) فان الدولة ريح قلب قال هذا لا جل قوله والامرة برق خلب ولا توصف الريح بقلب وانما تستعمل فى وصف ذى الحيلة والتصرف للتدبير (قال معاوية) عند موته لابنته انك لتصبين حولا قلبا ان وقى هول المطّلَعِ (وفيها) واعتقبته أخطو متقاصرا وأربه لحاباصرا وهذا استعمال من لا يعرف حقيقة أراه لحاباصرا لان مراده أتقاصر لئلا يرانى فى انباعى اياه وأتأمله مع ذلك تأملا شديدا كى لا يفوت بصرى وهذا المعنى لا يؤديه قوله اربه لحاباصرا لان قولهم أريته لحاباصرا أى نظرا (قال ابن برى) كلام ابن الحريرى صحيح لانه اراد انى اخطو خلفه متقاصرا وأتبعه نظرا بتحديق لئلا أضل عنه بتقاصر خطوى فيفوتنى فالمتقاصر على هذا أشد تحديقا من غير المتقاصر ﴿فى المقامة الثالثة والعشرين﴾ قوله حين يرنو منى

ويلتقح لا يستعمل التقح فى معنى قبل اللقاح والمعروف فى ألقحتها ولقحتها لقحت ومنه اللاقح واللواقح والملتقح غير معروف ﴿فى المقامة السادسة والعشرين﴾ فتمارفنا حينئذ وحفت بى فرحتان ساعتئذ (قال ابن الخشاب) السجعنان واحدة لان اذ فيهما كلمة واحدة فلا فرق بين اضافة الحين والساعة والليلة واليوم وغير ذلك مما يجب اضافته من أسماء الازمنة اليها فلا معنى لجعلها قرينة الاعلى تأويل انها صارت مع ماقبلها كاللفظة الواحدة ﴿فى المقامة السابعة والعشرين﴾ وكان يوما أطول من ظل القناة وأحر من دمع المقلاة (قال ابن الخشاب) لا مبالغة في المثلين فى مثل هذا الموضع وان كانت العرب قد ضربت بهما المثل فى الطول والحرارة وقال

ويوم كظل الرمح قصر طوله ✡ دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

ولبيت الشبرمة بن الطفيل ولكن الزمح أطول من القناة على كل حال وأما دمع المقلاة وهى التى لا يعيش لها ولد فلم يبلغ من حرارته مايقاوم الهجير المحترم (قال ابن برى) لم يرد ابن الحريرى ان دمع المقلاة شديد الحرارة على الجسد كشدة حرارة الهجير وانما أراد شدته على أعين البواكى خاصة لان حرارته مذيبة للاعين كحرارة الهجير المذهبة للاعين أيضا والمحرقة للاجساد فحرارة الهجير عامة فى الجسد والعين وحرارة الدمع مخصوصة بالعين لاغير فهو فى أذاها كاذى الهجير لها ﴿فى المقامة التاسعة والعشرين﴾ قطعة شعر اولها

ياصارفا عنى المود ✡ ة والزمان له صروف

(قال ابن الخشاب) هى مقيدة لان فيها أبياتا لو أطلقت كانت مرفوعا ومنصوبا ومجرورا وهو غير جائز (قال) ابن برى الذى ذكره ابن الحريرى صحيح ولا يلزم أن يكون اعراب المقيد كاعرابه لو أطلق ألا ترى الى قول امرئ القيس

اذا نحن فاهاقلت طعم مدامة ✡ معتقة مما تجيء به التجر

ثم قال بعده جاءت بريح من القطر فالقطر فى موضع خفض والتجر فى موضع رفع وقال طرفة ✡ ومن الحب جنون مستعر ✡ ثم قال بعده

✡ ليس هذا منك ماوى بحر ✡ لمستقر فى موضع رفع وحر فى موضع خفض

وقال الاعشى أتنكر غانية أم تلم ✿ أم الحبل واه بها منجذم

فنجذم فى موضع رفع ثم قال بعده

ونظرة عين على غرة ✿ محل الخليط بصحراء زم

فزم فى موضع جر وهى اسم بئر وهذا النحو كثير جدا فى أشعار العرب ﴿فى المقامة الثانية والثلاثين﴾ قال فان أفطر فيه العراة * قال لا تنكر عليهم الولاة * العراة الذين تأخذهم العرواء وهى الحمى برعدة * قال ابن الخشاب يقال عرى الرجل فهو معروّ والجمع معروّون فأما العراة فهو جمع فاعل فى المعتل فعار وعراة كغاز وغزاة وحام وحماة والباب فى اللفظة التى ذكرها المفعول لا الفاعل (وفيها) قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسوقهم الى المشارب قال الحاج اسم للجمع والواحد والقارب الطالب الماء بالليل ✿ قال ابن الخشاب ليس القارب كما فسر وتفسيره الصحيح لا يعطى مراده الذى استعمله (قال ابن برى) الذى ذكره ابن الحريرى هو الذى ذكره الخليل على ما حكاه الجوهرى عنه قال القارب الطالب الماء ليلا ولا يقال ذلك نهارا وزعم ابن الخشاب ان هذا ليس هو تفسيره الصحيح وكان ينبغى له أن يذكر تفسيره الصحيح ليتبين به غلط ابن الحريرى ثم قال والذى ذكره قد حكاه أبو عبيد وليس بشئ فى حديث الاضحيتين اللتين شريتا للنبى صلى الله عليه وسلم من الجلب وباعهما وجاء باحداهما وبالدينار فقال عليه السلام صنعت كيف كذا فى الرواية بتقديم صنعت على كيف وقد روى أبو الحسن عن العرب مثله وروى عنهم قلت ماذا وأشياء أخر من هذا الفن وردبها الاستعمال وله وجه بطريق قد ذكرته فى موضع لم يوجد فى التعليق (وفيها) قال فان عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل قال غربل أى قتل ✿ قال ابن الخشاب الغربلة التقطيع قال ✿ ترى الملوك حوله مغربله ✿ وصيغة الجواب على رد قبول الشهادة لاجل القتل مطلقا غير صحيح لانه يجوز أن يغربل مجاهدا او يجوز أن يقتل مقتصا ومقيما حدا فلا تسقط عدالته بذلك (قال ابن برى) فى تهذيب الافعال لابن القطاع الغربلة القطع وحكى الجوهرى عن أبى عبيد المغربل المقتول المنتفخ وأنشد

ترى الملوك حوله مغربله ✿ يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له

(وفيها) قال فما يصنع بمن سرق أساود الدار قال يقطع ان ساوين ربع دينار قال الاساود الآلات المستعملة كالاجانة والقدر والجفنة قال ابن الخشاب فى الاسودة كما قدمت فى الخامسة فى قوله الدواة وأساودها وانها جمع سواد ولو جمع جمع أسودة فى هذا على أساود فيكون كاسقية وأساق لم يمتنع الا انه يفتقر الى سماع لان جمع الجمع لا يقاس عليه وفى الحديث فاذا أسودة وقد جاء فى حديث أبى الدرداء الاساود يعنى بها الآلات (قال ابن برى) من قوله وقد جاء الى آخر الفصل ليست من كلام ابن الخشاب وانما هى رد عليه كان فى الحاشية قال ابن برى قول ابن الخشاب ان أساود فى جمع أسودة يفتقر الى سماع دليل على انه لم تمر به وقد ذكره ابن الاعرابى وغيره قال الجوهرى السواد الشخص والجمع أسودة ثم الاساود جمع الجمع وأنشد الاعشى

تناسيتم عنا وقد كان فيكم ✿ أساود صرعى لم يوسد قتيلها

يعنى بالاساود شخوص القتلى انقضى كلام الجوهرى وحكى الهروى فى حديث سلمان وهذه الاساود حولى أراد الشخوص من المتاع وكل شخص سواد من انسان ومتاع وغيره وحكى عن ابن الاعرابى ان سوادا يجمع على أسودة ثم يجمع اسودة على اساود فهذا نص على انه مسموع ﴿فى المقامة الثالثة والثلاثين﴾ عاهدت الله مذ يفعت والمعروف أيفعت يقال أيفع الغلام فهو يافع وأبقل المكان فهو باقل وأورس الرامث فهو وارس وجعل أهل العربية خروج اسم الفاعل فى هذه الالفاظ على غير فعله نادرا كذلك حكى أهل اللغة ابن السكيت ومن قبله انتهى كلام ابن الخشاب (قال ابن برى) يفعت لغة فى أيفعت حكاها ابن القطاع وابن القوطية وابن طريف وكذلك حكوا أبقل المكان وبقل واورس الرمث وورس عن العرب والاكثر أيفع وأبقل وأورس فاذا ثبت سماع الكل عن العرب لم يكن لمن أنكرها عذر وانما اختارها ابن الحريرى هنا لتوافق مذ يفعت سجعتها وهى ما استطعت فى وزنها فضرورة السجع حملته على استعمال أقل اللغتين (وفيها) فنهضت أسلك منهاجه وأقفو أدراجه قال ابن الخشاب رجع فلان

أدراجه اذا رجع في الطريق الذي جاء منه فاما سرت في ادراج فلان أو قفوت ادراج فلان فليس من مستعمل كلامهم ✲ قال ابن برى الدرج الطريق يقال دخل درج الضب أى طريقه الذى يدرج فيه ومنه قولهم هومنى درج السيل وكذلك ادراج السيول وادراج الرياح لطرقها وليس الدرج بمنزلة القهقرى في نحو قولك مشى القهقرى واعتقد في سيره القهقرى ورجع القهقرى وأما الدرج فليس بمعنى القهقرى ألا ترى ان السيل لا يسيل القهقرى وانما فهم من قولهم رجع ادراجه انه رجع في الطريق الذى جاء منه من جهة رجع لا من جهة الدرج ولو كان الدرج بمعنى القهقرى لم يصح أن يقال درج السيل لان السيل لا يسير القهقرى وأيضا فان القهقرى مصدر لا مكان فيصح هذا المعنى في المصادر لا في الامكنة ولو كانت الادراج لا تستعمل الا مع رجع لكان الامر كما ذهب اليه هذا القائل ولكن قولهم دخل درج الضب وهو منى درج السيل يبطل ما ذكره ويثبت ان الدرج اسم لكل طريق يدرج فيه فعلى هذا لا ينكر قفوت أدراجه أى طرقه ﴿في المقامة الخامسة والثلاثين﴾ اذ احتف بناذو طمرين قد كاد يناهز العمرين ✲ قال ابن الخشاب بئس الاستعمال استعمال كاد مع يناهز لان المناهزة معناها المقاربة ناهز فلان الحسين اذا قاربها وكاد معناها المقاربة أيضا فهما وان اختلفا في الاستعمال يتفقان في معنى المقاربة فكانه اذا حقق معنى قوله آل الى أن يقدر هذا الكلام قارب مقاربة العمرين وهذا لا يخفى اختلاله على المتأمل (وفيها) تأملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه فاذا هواياه (قال ابن الخشاب) العجب لابى محمد القاسم وهو بصرى أن يستعمل ما قد أجمع أهل بلده على انه لحن سيمارئيسهم سيبويه وهذه المسألة المشهورة التى جرت بين سيبويه والكسائى حين قدوم سيبويه بغداد في مجلس يحيى بن خالد البرمكى وأبى سيبويه كنت أظن ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هواياها وقال لا يجوز الا فاذا هو هى وأجازها الكسائى وهى لحن لا محالة (قال ابن برى) ذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق والزجاجى ان أبازيد الانصارى حكى عن العرب كنت أظن ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هواياها (قال

أبو القاسم الزجاجي) فاما أن يكون سيبويه بلغته هذه اللغة فلم يقبلها ولا عرج عليها لشذوذها واما أن تكون لم تبلغه فانكرها فقد ثبت بهذا صحتها عن عالم من أجل علماء البصرة وهو أبو زيد الانصاري وهو من جملة من أخذ عنه سيبويه فلا انكار على ابن الحريري اذاً أن يوافق أحد علماء بلده في صحة سماعها وان كانت شاذة في قياس العربية (وفيها) ثم ودعني وانطلق وزودني نظرة من ذي علق * قال ابن الخشاب هذا يعطي خلاف المقصود لان قولهم نظرة من ذي علق فسره اللغويون فقالوا معناه نظرة من ذي هوى قد علق من يهواه بقلبه (قال الاصمعي) نظرة من ذي علق يضرب للرجل يرى الشيء يحبه فيجتزي عن معرفته بالقليل (قال ابن بري) المعنى الذي أراده ابن الحريري صحيح لانه أراد انه أودع قلبي حرقا لم يكن فيه وذلك بسبب مفارقته وزوده نظرة من ذي هوى وعشق فصار عاشقا بعد ان لم يكن كذلك وسبب ذلك مفارقته التي أوجبت له ان صار ذا نظرة من ذي هوى لمن فارقه ولو كان المعنى على ما قاله ابن الخشاب لكان الصواب أن يقول وزودته نظرة من ذي هوى ولم يقل وزودني ومثل هذا لا يخفى على ابن الحريري * (في المقامة السادسة والثلاثين) أخت بملطية مطية البين (قال ابن الخشاب) الصواب بملطية مخففا وكذلك استعمل وهو معرب والذي استعمله أبو محمد بالتشديد هو المتعارف بين العامة (قال ابن بري) ملطية اسم أعجمي والاسماء الاعجمية كثيرا ما تغيرها العرب ألا ترى الى نحو جبريل وابراهيم فيهما عدة لغات وكذلك بغداد والمشهور في هذه البلدة على استعمال الناس ملطية بتشديد الياء وكسر الطاء وانما أثبت ابن الخشاب انها ملطيه بتخفيف الياء واسكان الطاء اتباعا للمتنبي في قوله

☆ ملطية أم للبنين ثكول ☆

وليس في استعماله لها على التخفيف قاطع على ان هذا هو الاصل في اسم البلدة لاحتمال أن يكون خففها للضرورة ويكون ما عليه الناس في الاستعمال هو الصحيح (وفيها) وقد وصف الاحجية وأخذ يحدها أن وضع الاحجية لامتحان الالمعية واستخراج الخبيئة الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط (قال ابن الخشاب) لا نسلم الاحاجي المشروطة قوله في آخرها

جحفلة مثله مكاشفة لان المكا الصغير قال الله تبارك وتعالى وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية والاصل في المكاء المد ولكنه قصره في هذه الاحجية كما حذف همزة الفراء في أحجيته وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز الى آخر كلامه (قال ابن الخشاب) ليس الامر على ما قال انما يجوز قصر الممدود في ضرورة الشعر وحذف الهمزة لا يطرد وانما يكون في مواضع مخصوصة بصفة مخصوصة (وفيها) أحجية صورتها خذ تلك قال ومثلها هاتيك (قال ابن الخشاب) باردة لا تشبه الاحاجي المشروطة (قال ابن برى) هذه الكلمات كل كلمة منها من كلمتين بعيبين يسامح قائلها بأن يقصر فيها الممدود ونحو ذلك من ضرورات الشعر لعزتها وصعوبة استنباطها ﴿في المقامة السابعة والثلاثين﴾ فسقط الفتى في يده ولاذ بحقو والده (قال ابن الخشاب) اخطأ في قوله سقط الفتى في يده ولم يعلم حقيقة هذا الكلام كيف تستعمله العرب وبيانه يقال سقط في يد فلان اذا ندم ولا يقال سقط فلان في يده قال الله تعالى ولما سقط في أيديهم ولم يقل سقطوا في ايديهم وهذا كلام جار مجرى المثل وفاعل سقط مضمر لا يظهر معناه الندم فكأنه والله أعلم سقط الندم في يد فلان وليس المعنى سقط فلان في يد نفسه هذا محال لا يجوز عليه ولا يعطيه لفظ هذا الكلام ولا معناه وهذا الغلط من فاحش غلط الحريرى في مقاماته ويدل عليه دلالة قاطعة قوله تعالى ورأوا أنهم قد ضلوا أى في الثاني وهو ضلوا وهو ضمير المذكورين في أول الآيات ولم يأت به في الاول وهو سقط لان فاعله غيرهم وهو ضمير الندم على ما بين أهل اللغة العربية وهو الصواب والله اعلم (قال ابن برى) قول ابن الخشاب ان في سقط من قولهم سقط في يده وفي قوله تعالى سقط في أيديهم فضميرا لا يظهر معناه الندم غلط فيه لان سقط فعل غير متعد انما ذلك في قراءة من قرأ سقط في أيديهم وهي قراءة حكاها الاخفش وقال تقديره ولما سقط الندم في أيديهم واذا ثبت ان الندم فاعل لسقط لم يجز أن يكون مرفوعا لسقط لان الفاعل لا يكون مفعولا لم يسم فاعله وانما يكون غيره وهو قوله في أيديهم وكذلك سقط في يده الجار والمجرور في موضع المفعول الذى لم يسم فاعله وظاهر كلام ابن الخشاب يقتضي ان القراءة المشهورة

ولما سقط فى أيديهم بفتح السين وذلك غلط على ان القراء كلهم مجمعون على سقط
بضم السين وكسر القاف وهو من الافعال المبنية لمالم يسم فاعله مثل جن وذكم ولم
يقرأ أحد سقط فى أيديهم الا ابو السميفع في الشواذ من القراآت وذلك غير معروف
عند أهل اللغة وكذلك ذكره ابن الحريرى فسقط الفتى فى يده ولاذ بحقو والده ولم
يروا احد عنه فسقط الفتى بفتح السين ولا يصح كلام ابن الخشاب الا على سقط
بفتح السين وهو خلاف ماروى عن ابن الحريرى في مقاماته الا ان ابن الحريرى
غلط بذكر الفتى وصوابه فسقط فى يده من غير ذكر الفتى أو يقول فاذا الفتى
ساقط فى يده ولا يكون فى سقط ضمير الفتى لانه فعل غير متعد والجار
والمجرور فى موضع رفع به فان قال قائل فلعل هذا من غلط الكاتب على
ابن الخشاب ان مثل هذا لا يخفى عليه أعني ان القراءة المجمع عليها ولما سقط
فى أيديهم على مالم يسم فاعله قيل له كلام ابن الخشاب يقتضى بأنه انما قال
سقط بفتح السين ألا تراه قال وفاعل سقط المضمر لا يظهر (١) ومعناه الندم
ثم قال بعد هذا او يدل عليه دلالة قاطعة أى على ان الندم مضمر فى سقط قوله تعالى
ورأوا أنهم قد ضلوا وهو ضمير المذكورين في أول الآيات ولم يأت به فى الاول
وهو سقط لان فاعله غيرهم وهو ضمير الندم على مابين أهل اللغة العربية وهو
الصواب انقضى كلام ابن الخشاب وقد أثبت ان القراءة سقط بفتح السين وان
الفاعل لم يظهر فى سقط كما ظهر فى ضلوا لكن فاعل سقط عين فاعل ضلوا وهو
الندم وقد ثبت بهذا غلطه في القراءة اللهم الا أن يكون الناقل عنه قد غير الكلام
عليه وان الذى قاله ان سقط فى يده فعل مبني للمفعول وكان الفعل قبل أن يبنى
للمفعول سقط في يده بفتح السين أى سقط الندم فى يده ثم حذف الفاعل وأقيم
الجار والمجرور مقامه والدليل على صحة ذلك سقط في أيديهم فحينئذ يكون الكلام
مستقيما والرد صحيحا ﴿فى المقامة الثامنة والثلاثين﴾ ولا أجد عنه مخبرا ولا ارى له

---

(١) ان قول ابن الخشاب هذا لا يعين انه أراد سقط بفتح السين وقد فات ابن برى
أيضا ان الافعال التى جاءت ملازمة للبناء للمجهول لا يقال ونائب فاعلها وانما يعرب
فاعلا مع هذه الصيغة فلا دليل لابن برى فى ذلك اهـ المرصفى

أثرا ولا عثيرا (قال ابن الخشاب) كذا تأدى عنه عثيرا بتقديم الثاء المعجمة بثلاث نقط على الياء وكسر العين ولا وجه لاستعماله ههنا لان العثير الغبار وانما المستعمل مع الأثر العيثر بتقديم الياء وفتح العين على وزن فيعل كحيدر وجيدر ولاهل لغة فى اللفظتين كلام أذكره بحكايته ان شاء الله (قال ابن برى) هذا الذى ذهب اليه ابن الخشاب هو مذهب يعقوب واتبعه ابن فارس وقال القزاز فى كتابه جامع اللغة العرب تقول ما رأيت له أثرا ولا عثيرا والعثير الاثر الخفى ويقال اتباع قال وحكى أبو الحسين يعنى ابن فارس انه يقال ما رأيت أثرا ولا عيثرا بتقديم الياء على الثاء فقد بان لك بهذا صحة ما قاله ابن الحريرى لكونها مسئلة خلاف لا اجماع ﴿فى المقامة التاسعة والثلاثين﴾ قال لهجت مذ اخضر ازارى وبقل عذارى قال اراد بالازار العانة (قال ابن الخشاب) هذا بعيد * قال ابن برى ليس هذا ببعيد لان الازار قد يسمى حقوا لانه يشد على الحقو وهو معقد الازار والعانة داخلة فى الحقو ومنه الحديث انه أعطى النساء اللواتى غسلن ابنته حقوه أى ازاره وقال أشعرنها اياه والعرب تكنى بطيب الازار عن عفة الفرج لانه عليه يعقد وعليه قول الخرنق ☆والطيبون معاقد الازر☆ وكذلك يكنون بطهارة الجيب عن القلب السالم من الغش لان الجيب يكون على القلب (قال فيها) فنقلت اليها أساودى استعمل الاساود فى الآلات على عادته وقد بينت أنها الاسودة وقد جمعت على اسودات (وفيها) فأقبلنا نجوس خلالها وتفيؤ ظلالها (قال ابن الخشاب) ليس هذا موضع استعمال هذا الكلام لانه يذكرانهما أعنى الحارث بن همام وأبا زيد صعدا الى الجزيرة ثم بادرا قوتا لاقواتهما من الزاد مع ماذكر من ضعف مريرتهما وانهما لا يهتديان سبيلا وقوله تعالى فجاسوا خلال الديار معناه فيما فسر والله اعلم أكثروا القتل خلال الديار فأين موضع استعمال هذا الكلام ههنا سيما مع قوله تفيؤ ظلالها وانما غره النظم فقط بين الخلال والظلال وأما الجوس وذكره فى القرينة الاولى فقسر عليه استعماله فى المعنى الذى أراده من الظلال وعدم الاهتداء مع ضعفهما بعدم القوت وهذا ظاهر (١) (قال ابن برى) وقال الجوهرى الجوس

(١) أقول وقد لاك ابن الخشاب قول الحريرى هذا والقلطة أمامه ولم يشعر بها

مصدر جاسوا خلال الديار أى تخللوا فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الاخبار أى يطلبها فعلى هذا يصح ما قاله ابن الحريرى وحكى الهروى فى الغريبين عن الازهرى ان معنى جاسوا وطئوا وحكى عن الاصمعى أنه يقال تركت فلانا يجوس بنى فلان و يجوسهم و يدوسهم أى يطؤهم وقال أبو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد جسته وحسته ﴿فى المقامة الاربعين﴾ فى تفسير ألفاظ هذه المقامة يادفار يالجار الى قول الشاعر

أطوف ما أطوف ثم آوى ☆ الى بيت قعيدته لكاع

(قال ابن الخشاب) لم أجد الرد وانما نقلته لينظر فى الثانية والاربعين ثم انه اختبن خلاصة النص و بدر ضاربا فى الارض (قال ابن الخشاب) يظن ان الخلاصة خالص الشئ وكذلك ربما ظنت العامة وليس الامر على ذلك لان الخلاصة ما يلقى من الشئ و يسقط عند التخليص وعلى ذلك باب الفعالة كالنحاتة لما يلقى من النحت والبراية لما يلقى من البرى وكذلك النفالة والكساحة والقمامة والكناسة والقوارة وأمثلته كثيرة جدا والخلاصة ايضا ما يلقى فى السمن اذا صفى مثل تمرة أو بعرة وما يجرى مجراها يجتمع البها و بعه ليلقى وهو الاثر وذلك معروف عند اللغويين فهو مخطئ فى هذا الاستعمال على كل حال (قال ابن برى) قول ابن الحريرى صحيح لان لفظة الخلاصة مختلف فيها من جهة المعنى فذهبت طائفة الى ما ذهب اليه ابن الحريرى وذهبت طائفة أخرى الى ما ذهب اليه ابن الخشاب قال الجوهرى خلاصة السمن ما خلص منه لانهم اذا طبخوا الزبد ليتخذوه سمنا طرحوا فيه شيأ من سويق اه تمرا وابعار غزلان فاذا جاد وخلص من التفل فذلك السمن هو الخلاصة و يشهد بصحة ما قاله الجوهرى أنه يقال فى الخلاصة الخلاص أيضا والخلاص ما خلص من الذهب والفضة بعد السبك وقال الهروى فى حديث سلمان انه كاتب أهله على أربعين أوقية خلاص الخلاص ما أخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصة فجعل الخلاص والخلاصة بمعنى واحد وذكر الفارابى فى كتابه المعروف بديوان

ألا وهى قوله تتفيأ ظلالها وفيه أن الفعل لازم وقد عداه الحريرى ولا حق له فى ذلك اه المرصفى

لادب الخلاصة ماخلص من السمن واذا ثبت ذلك لم يكن لتغليط ابن الحريرى وجه اذ كان قوله موافقا لاقوال أهل اللغة الحذاق وكون ابن الخشاب قطع عليه بالغلط دليل على انه لم يعلم فيه خلافا أو تركه مع العلم به والله أعلم (وفيها) الى ان طال الامد وحصحص الكمد (قال ابن الخشاب) استعمل الحصحصة مع غير لفظة الحق ولا يكاد يستعمل ذلك لو قال حصحص الباطل وحصحص الشر او غير ذلك كان بعيدا من استعمالهم (قال ابن برى) قوله ان الحصحصة انما تكون مع لفظة الحق قول تفرد به حمله على ارتكابه ما جاء فى الكتاب العزيز من قوله تعالى الآن حصحص الحق وليس الامر كما ظن لان الذى عليه أهل اللغة حصحص الشىء بمعنى ظهر ووضح ولم يخصوا به حقا ولا غيره وقال الخليل الحصحصة الحركة فى الشىء حتى يستقر فيه ويتمكن ويقوى قوله فى ذلك قول حميد يصف جملا

وحصحص فى صم الحصا ثفناته ✿ ورام القيام ساعة ثم صمما

﴿فى المقامة الثالثة والاربعين﴾ والمرء قد ازدمل بجاده (قال ابن الخشاب) كذا وقع فى المقروء بنجاده بالنون ولا وجه للازدمال بنجاد السيف لانه لا يعم المتغطى الملتف عموم الثوب فان كان قال ببجاده أى بكسائه فهو الوجه (قال ابن برى) الرواية بجاده بالباء لا غير والذى ذكره ابن الخشاب بنجاده بالنون غلط منه أو فى النسخة التى قرأها ﴿فى المقامة الرابعة والاربعين﴾ عشاره تخور وأعشاره تفور (قال ابن الخشاب) نظر الى التجنيس بين عشار واعشار فاساء الاستعمال اذ الاعشار فى قول العرب برمة أعشار وقدح أعشار اذا كان قطعا ولم يسمع للاعشار بواحد ولعله ظن ان اعشارا جماعة فاستعمله لان الاعشار البرمة الواحدة وهى مع ذلك عدة قطع وهو مما وصف فيه الواحد بالجمع لكون الواحد عدة قطع فهو كالجمع ومثله حبل ارمام واقطاع وارماث وجفنة اكسار وثوب أسمال وقد فسره ابن الحريرى فى آخر هذه المقامة فقال الاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها يقال برمة اعشار وثوب اسمال وليس الامر كما ذكر قال لانها يجوز أن تكون عظيمة وغير عظيمة والمراد بها المشعبة (قال ابن برى) قول ابن الخشاب ولعله ظن ان اعشارا جماعة غير صحيح لان ابن الحريرى قد فسر

الاعشار بأنها البرمة العظمية وكذا قال القزاز في كتابه جامع اللغة ان الاعشار القدر العظمية وهذا يصحح قوله أيضا انها القدر الكبيرة دون الصغيرة وانما غلط ابن الخشاب في جعله تاء التأنيث في قوله تفور تأنيث الجمع لما قرن بين قوله عشاره تخور واعشاره تفور فظن أن اللفظتين للجماعة وان التأنيث فيهما تأنيث الجماعة وليس الامر كذلك بل التأنيث في قوله تفور لتأنيث القدر الواحدة دون الجماعة فكما انك تقول قدره تفور فكذلك تقول اعشاره تفور لان الاعشار هي القدر الواحدة الكبيرة وهي مؤنثة ووصفت بالجمع كما وصف الثوب بالجمع في قولهم ثوب اسمال ولهذا حصل له التجنيس بين قوله واعشاره وعشاره لكون عشار جمعا ولكون اعشار جمعا وصف به الواحد فيكون التأنيث في تخور تأنيث الجماعة وفي تفور تأنيث الواحدة ولا يمتنع أن يريد بها الجماعة لانه قد يوقع الواحد موقع الجمع كقوله سبحانه وتعالى وعلى سمعهم وعلى أبصارهم أراد وعلى أسماعهم وكذلك قول الشاعر ۞في حلقكم عظم وقد شجينا۞ أراد في حلوقكم وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وقوله ثم استوى الى السماء فسواهن ﴿في المقامة السادسة والاربعين﴾

اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه ۞ فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان تر قبل التاء ياء فكتبه ۞ بياء والا فهو يكتب بالالف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي ۞ تعداه والمهموز في ذاك يختلف

(قال ابن الخشاب) أمر ما يكتب بالياء والالف من الافعال التي اعتلت أواخرها ظاهر بما أشار اليه أهل العربية وقد خلطه ابن الحريري بنظمه وزاده اشكالا (وفيها) ماعقد هجاء الافعال التي آخرها حرف اعتلال قوله الافعال مطلقا غير محقق لان هذا الفرق الذي أراده انما هو مختص بالافعال الماضية لا غيرها مطلقا وهذا وان كان معلوما فانه غير صحيح وفيه تجوز وقوله

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي ۞ تعداه والمهموز في ذاك يختلف

(قال ابن الخشاب) فيه تخليط لان الثلاثي من الافعال خاصة يفرق فيه بين ذوات الياء والواو على رأى من فرق ليقع الاعتبار بالرد الى الضمير وهو التاء في آخره فان

كان قبل التاء ياء علم ان الفعل من ذوات الياء فكتب بالياء وجاز كتبه بالالف
على اللفظ وان كان قبل التاء واو كتب بالالف على لفظه اهـ أما ما تعدى الثلاثى
أى ما كان على أربعة أحرف فصاعدا فانه لا يختلف لان ذوات الواو ترجع فيه
الى ذوات الياء فيستوى فيه لفظ الجميع ألا ترى انك تفرق بين غزا ورمى ما داما
ثلاثيين فتكتب غزا ورمى هذا بالالف وهذا بالياء فاذا كتبت اغزى وارمى كتبتهما
جميعا بالياء لانك تقول أرميت وأغزيت وكذلك استغزى واستسعى يستويان فى
الكتب بالياء كقولك استسعيت واستغزيت والمهموز أيضا لا يحتاج فيه الى نظر
لانه لا يختلف كقولك سلأ وهنأ فلا وجه فى تخليط الابواب الثلاثة التى جمعها فى
البيت الاخير فانه زاد الباب اشكالا بقوله فى ذاك يختلف فان ذاك اشارة الى
الاعتبار بالرد على الضمير والفرق من بعد فينظر طالب الفرق ان هذا الفرق
مستمر فى الابواب الثلاثة وان ما زاد على الثلاثى والمهموز يتنوعان كما يتنوع
الثلاثى وقد بينا انهما لا يختلفان فى كل ما يكتب بالالف وما زاد على الثلاثة كله
يكتب بالياء وأقول أيضا ان الفرق فى الثلاثى شئ لم يكن يعرف فى القديم وانما
أخذته قوم من النحاة تكسبا مع الكتاب لما احتاجوا اليهم فيه وقيل ان البادئ به
ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش (قال ابن برى) لم يرد ابن الحريرى بالمهموز
ما أراده ابن الخشاب لان ذلك لا يخفى على من له أدنى معرفة بهذا النحو ألا ترى
انه لا يغلط أحد فى مثل سلأ السمن فيكتبه بالياء من جهة انه لا يقول أحد سليت
السمن وانما يقال سلأت السمن بالهمز واذا كان الامر على هذا لم يكن لما ظنه
ابن الخشاب بابن الحريرى وجه من الوجوه وانما الذى أراد بالمهموز المهموز العين
مثل شأى ويأى فان من الكتاب من يختار كتابة هذا النحو بالياء كراهة ان
يجتمع ألفان فى الخط كما كتبوا يحيى ويحيى بالالف كراهة اجتماع ياءين فى الخط
والذى يختاره ابن الحريرى أن يكتب المهموز العين بالالف اذا كان أصلها الواو
ليطرد الباب ولا يختلف وليس اجتماع العين كاجتماع ياءين ألا ترى ان الكتاب
يقولون رأيت كساء فيكتبونه بالفين ولا يبالون باجتماعهما وقال فى هذه المقامة
فى الابيات التى جمع فيها حروفا مما يقال بالظاء والشناظير والتعاظل والعظلم وفسر

العظلم بأنه الخطمي وليس الامر على ماقال وانما العظلم الوسمة التي يختضب بها والخطمي ليس مما يختضب به بل هو مما يغتسل به ﴿في المقامة السابعة والاربعين﴾ قال ان مثل الوعود كغرس العود هو بين ان يدركه العطب أو يدرك منه الرطب وهذا كما تراه فان الرطب لايجتني من عود البتة وانما هو من الجذع وهو مختص بالنخلة فاطلاقه عليه اسم العود الذي لبقية الشجر خارج عن استعمالهم (قال ابن برى) لم يرد ابن الحريرى بالعود ما أراده ابن الخشاب من انه جذع النخلة وانما أراد بالعود الجريدة التي تغرس فتنبت فان كمل نباتها وتم أدرك منها الرطب وان أدركها العطب لم يدرك منها الرطب والنخلة تسمى شجرة قال الله تعالى والنجم والشجر يسجدان والشجر كل ما كان من النبات على ساق وكل شجرة أغصانها عيدانها فبان بهذا صحة قوله لان الذي يزرع النخل انما يأخذ جريدة بليفها ويغرزها في الارض فتنبت فتصير نخلة ويدلك على ان النخلة تسمى شجرة أيضا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان شجرة مثلها كمثل المؤمن لايسقط ورقها خبروني ماهي ثم فسرها وقال هي النخلة ويسمى الخوص ورقها وورق الشجرة انما يكون في عيدانها واذا ثبت ان النخلة شجرة وان خوصها ورقها ثبت ان جريدها عيدانها واغصانها (وفيها)

واياك والشكوى فلم تر ذانهى ✡ شكا بل أخو الجهل الذي ما رعوى عوى

(قال ابن الخشاب) هذا بيت فاده تجنيس أخرجه الى نظم لامعنى له يتحصل وقال بعد لفظ كالصهباء وفعل كالحصباء (قال ابن الخشاب) الحصباء الحصى الصغار فما في تشبيه الفعل المخالف للقول به من المعنى (قال ابن برى) أراد كفعل الحصباء في الترامي يقال تحاصبوا اذا تراموا بالحصباء وأيضا فان الارض ذات الحصباء يصعب السير فيها ويشق على من يقطعها في الحر والبرد من الناس والخيل والابل وغيرها من بهيمة الانعام فالسير فيها شاق مكروه والترامي بها أيضا شاق مكروه والمعنى فيها صحيح على حذف المضاف تقديره كفعل الحصباء ﴿في المقامة الثامنة والاربعين﴾ قال في الابيات التي مدح بها أهل البصرة

ومغنى لا تزال تغن فيه ✡ أغاريد الغوانى والاغانى

(قال ابن الخشاب) هذا البيت يروع بتجنيسه وذكر المغنى وتغن والغوانى والاغانى فاذا انتشق معناه الذى يدل عليه لفظه ضعف جدا وكاد يكون فارغا بل ربما فسد وذلك ان الاغاريد من قولهم غرد اذا طرب والغوانى جمع غانية وهى المرأة التى غنيت بزوجها عن الازواج أو بحسنها عن التحسين على اختلاف تفسير اللغويين والاغانى جمع أغنية وهى المتغنى به فكانه لما أضاف الاغاريد الى الغوانى والاغانى قال تغن فى هذا المغنى بتطريب النساء اللوانى غنين ببعولتهن أو بحسنهن وتطريب الابيات التى يتغنى بها وناهيك بهذا المعنى صحة وحسنا (قال ابن برى) ليس فى هذا البيت ما ينكر عليه الا عطفه الاغانى على الاغاريد وهما بمعنى واحد وهذا جائز عند أهل اللغة لاختلاف اللفظتين على جهة التأكيد وذلك كقول الشاعر ✿ فألفى قولها كذبا ومينا ✿ والمين هو الكذب وكذلك قول الآخر ✿ وهند أتى من دونها النأى والبعد ✿ وكذلك قوله سبحانه وتعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قيل هما بمعنى وكذلك قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك قوله انما أشكوا بثى وحزنى إلى الله والبث هو الحزن وكذلك قوله ثم عبس وبسر وفجاجا سبلا وغرابيب سود وهذا النحو كثير جدا وهذا فيمن جعل الاغاريد جمع أغرودة للاغنية المطرب فيها ومن جعلها جمع اغراد فاغراد جمع غرد وهو التطريب لم يكن فيه تكرار لانه يصير المعنى لا تزال الغوانى تغنى بأغانيها وتطريبها فى هذا المغنى وهذا معنى صحيح لا فساد فيه والله اعلم * وهذا آخر كلام الشيخ الامام العلامة جمال العلماء ابى محمد عبد الله بن برى بن عبد الجبار المقدسى النحوى رحمه الله على ما وجد بخط الشيخ الامام العالم الاوحد أبى محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد البغدادى المعروف بابن الخشاب وتبكيتاته على أبى القاسم الحريرى فى مقاماته رحمهم الله جميعا

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

تسليما كثيرا